خَتْما سنن أبي داود للسخاوي (902هـ) والبصري (1134هـ)
(دراسة مقارنة)

The Khatm Works on Sunan Abī Dāwūd by al-Sakhāwī (d. 902 AH) and al-Baṣrī (d.1134 AH): A Comparative Study

10.35781/1637-000-189-003

د. أحمد بن جابر الشمراني *

*أستاذ الحديث المشارك بجامعة تبوك

الملخص

يتناول هذا البحث خَتْمَي سنن أبي داود للسخاوي والبصري دراسةً مقارنةً في المنهج والمضمون، من خلال دراسة كتاب بذل المجهود في ختم سنن أبي داود للحافظ شمس الدين السخاوي، وكتاب ختم سنن الإمام أبي داود لعبد الله بن سالم البصري؛ للكشف عن منهج كل منهما في معالجة الموضوعات المتعلقة بالإمام أبي داود وكتابه السنن، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف والانفراد بين الختمين، والقيمة العلمية لكل منهما في خدمة سنن أبي داود.

ويهدف البحث إلى التعريف بكتب الختوم وقيمتها العلمية، والتعريف بالختمين وبنائهما ومنهجهما ومصادرهما وموضوعاتهما، والموازنة بين منهجي السخاوي والبصري في ترجمة أبي داود، والتعريف بالسنن ومنهج مصنفه، وروايات الكتاب وأسانيده وشروحه، وإبراز ما انفرد به كل منهما.

واعتمد البحث المنهج الاستقرائي والمقارن والتحليلي؛ وذلك باستقراء مادة الختمين، وتصنيف موضوعاتهما، ومقابلة ما أورده كل مؤلف في المسألة الواحدة، وتحليل طرائق العرض والنقل والمناقشة والترجيح، واستخلاص السمات المنهجية والقيمة العلمية لكل ختم.

وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج، من أبرزها: أن الختمين اشتركا في الأصول الكبرى لختم سنن أبي داود، مع اختلاف واضح في طبيعة المعالجة؛ إذ غلب على ختم السخاوي الاتجاه النقدي التحليلي، ولا سيما في دراسة روايات السنن وأسانيدها، ومقارنة طرقها، والتنبيه إلى أثر اختلاف الروايات في نسبة أحكام أبي داود إلى الأحاديث. في حين غلب على ختم البصري الاتجاه الجمعي الاستيعابي، مع عناية أوضح بترجمة أبي داود ومناقبه وفضائل السنن وجمع أقوال العلماء. كما تميز السخاوي بتعدد أسانيده إلى السنن، والتوسع في ذكر شروحه والمصنفات التي خدمته. وكشفت الدراسة عن القيمة العلمية لكتب الختوم بوصفها مصدراً لدراسة تاريخ الكتب الحديثية، ورواياتها، وأسانيدها، ومناهج تلقيها.

الكلمات المفتاحية: كتب الختوم، سنن أبي داود، ختوم السخاوي، ختوم البصري، مناهج الكتب الستة.

ISSN : 2410-1818

The Khatm Works on Sunan Abī Dāwūd by al-Sakhāwī (d. 902 AH) and al-Baṣrī (d.1134 AH): A Comparative Study

Dr. Ahmad bin Jabir Al-Shamrani*

*Associate Professor of Hadith
University of Tabuk

Abstract

This study examines the two concluding works on Sunan Abī Dāwūd by al-Sakhāwī and al-Baṣrī through a comparative study of their methodology and content. It focuses on Badhl al-Majhūd fī Khatm Sunan Abī Dāwūd by al-Ḥāfiẓ Shams al-Dīn al-Sakhāwī and Khatm Sunan al-Imām Abī Dāwūd by ʿAbd Allāh ibn Sālim al-Baṣrī, with the aim of identifying each author's methodology in addressing topics related to Imām Abū Dāwūd and his Sunan, clarifying the areas of agreement, difference, and distinctive contribution between the two works, and determining the scholarly value of each in serving Sunan Abī Dāwūd.

The study aims to introduce the genre of concluding works (kutub al-khutūm) and its scholarly value; to introduce the two works, their structure, sources, and subjects; to compare the methodologies of al-Sakhāwī and al-Baṣrī in their treatment of the biography of Abū Dāwūd, the Sunan and its compiler's methodology, the transmissions of the work, its chains of transmission, and its commentaries; and to highlight the distinctive contributions of each author.

The study employs inductive, comparative, and analytical methods by surveying the contents of the two works, classifying their subjects, comparing each author's treatment of the same issues, analyzing their approaches to presentation, transmission, discussion, and preference, and identifying the methodological characteristics and scholarly value of each work.

The study reached a number of findings, most notably that the two works share the principal elements of concluding works on Sunan Abī Dāwūd, while differing clearly in the nature of their treatment. Al-Sakhāwī's work is predominantly critical and analytical, particularly in its study of the transmissions and chains of transmission of the Sunan, its comparison of their transmission routes, and its attention to the impact of variant transmissions on attributing judgments to Abū Dāwūd regarding hadiths. By contrast, al-Baṣrī's work is predominantly comprehensive and compilatory, with greater attention to the biography and merits of Abū Dāwūd, the virtues of the Sunan, and the collection of scholars' statements. Al-Sakhāwī is also distinguished by the multiplicity of his chains of transmission to the Sunan and his broader treatment of its commentaries and the works that served it. The study also demonstrates the scholarly value of concluding works as a source for studying the history of hadith books, their transmissions, chains of transmission, and methods of scholarly reception.

ISSN : 2410-1818

keywords: Concluding Works (Kutub al-Khutūm), Sunan Abī Dāwūd, al-Sakhāwī's Concluding Works, al-Baṣrī's Concluding Works, Methodologies of the Six Hadith Books.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء: 1]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: 70-71].

حظيت كتب السنة النبوية بعناية العلماء قراءةً وسماعًا وروايةً وشرحًا وإسنادًا، وكان من مظاهر هذه العناية ما عُرف بـ "**كتب الختوم**"، وهي مؤلفات ارتبطت بختم قراءة الكتب أو تدريسها، واشتملت على التعريف بالكتاب ومصنفه، وبيان منزلته ومنهجه ورواياته وأسانيده وشروحه، وما يتصل بذلك من فوائد علمية.

وقد برز هذا النوع من التأليف عند عدد من المحدثين، ومن أشهرهم الحافظ شمس الدين السخاوي (ت 902هـ)، ثم الإمام عبدالله بن سالم البصري (ت 1134هـ)، وكان لكل منهما عناية ظاهرة بالتأليف في الختوم. ومن الكتب التي اشتركا في ختمها سنن الإمام أبي داود؛ فَأَلِفَ السخاوي "بذل المجهود في ختم سنن أبي داود"، وأَلَّفَ البصري "ختم سنن الإمام أبي داود". فقد اشترك الختمان في جملة من الموضوعات المتعلقة بالإمام أبي داود وكتابه، مع اختلافهما في طريقة العرض، ومقدار الاستيعاب، والعناية بالروايات والأسانيد والشروح والترجمة والمناقب؛ مما يجعل الموازنة بينهما سبيلًا للكشف عن منهجيهما، وإبراز القيمة العلمية لكتب الختوم في خدمة كتب السنة.

أولًا: أهمية الموضوع

تظهر أهمية الموضوع في جملة من الأمور:

1. تعلقه بنوع من أنواع التأليف عند المحدثين، وهو "**كتب الختوم**"، وما تشتمل عليه من مادة علمية تتصل بالكتب ومصنفيها ومناهجهم.
2. إبراز القيمة العلمية لكتب الختوم في دراسة مناهج المصنفين، والتعريف بالكتب ورواياتها وأسانيدها وشروحها.
3. تعلق الدراسة بكتاب من أمهات كتب السنة، وهو سنن الإمام أبي داود.

ISSN : 2410-1818

4. أن الختمين محل الدراسة ألَّفهما عالمان بارزان اشتهرا بالعناية بكتب الختوم، مع تباعد عصريهما، مما يتيح الوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف في معالجة الكتاب الواحد.
5. اشتمال الختمين على مادة حديثية وعلمية ومنهجية يمكن من خلالها الوقوف على جوانب مهمة من منهج أبي داود وخصائص كتابه ورواياته وطرق خدمته.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

يمكن إجمال أسباب اختيار الموضوع فيما يأتي:

1. الرغبة في إبراز كتب الختوم والتعريف بهذا النوع من التأليف الحديثي.
2. القيمة العلمية لخَتْمَي سنن أبي داود للسخاوي والبصري وما تضمناه من مادة تتعلق بالإمام أبي داود وكتابه.
3. اشتراك الختمين في عدد كبير من الموضوعات، بما يتيح إجراء موازنة علمية مباشرة بينهما.
4. وجود جوانب من الاختلاف والانفراد في الختمين تستحق الدراسة والتحليل، ولا سيما في معالجة روايات السنن وأسانيده وشروحه وترجمة أبي داود ومناقبه .
5. الكشف عن مدى الإفادة التي تقدمها كتب الختوم في دراسة الكتب الحديثية ومناهج أصحابها.

ثالثًا: مشكلة البحث وتساؤلاته

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن منهج كل من السخاوي والبصري في خَتْم سنن أبي داود، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف والانفراد بين الختمين، وما تكشف عنه هذه الموازنة من القيمة العلمية لكل منهما في خدمة سنن أبي داود، وتكشف الدراسة تطور علم الختم عبر الأزمنه.

فالبحث يجيب عن سؤال رئيس هو:

ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين خَتْمَي سنن أبي داود للسخاوي والبصري في المنهج والمضمون، وما القيمة العلمية لكل منهما؟

ويتفرع عنه التساؤلات الآتية:

1. ما المقصود بكتب الختوم، وما نشأتها وموضوعاتها وقيمتها العلمية؟
2. ما أبرز موضوعات خَتْمَي سنن أبي داود للسخاوي والبصري، وما بناؤهما؟
3. ما منهج السخاوي والبصري في التعريف بالإمام أبي داود وكتاب السنن ورواياته وأسانيده وشروحه؟
4. ما أوجه الاتفاق والاختلاف والانفراد بين الختمين؟
5. ما القيمة العلمية التي يمثلها كل خَتْم في خدمة سنن أبي داود؟

رابعًا: أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1. التعريف المختصر بكتب الختوم وبيان نشأتها وموضوعاتها وقيمتها العلمية.
2. التعريف بخَتْمَي سنن أبي داود للسخاوي والبصري، وبيان بنائهما ومصادرهما وموضوعاتهما.
3. الكشف عن منهج السخاوي والبصري في تناول ترجمة الإمام أبي داود وكتابه السنن.
4. الموازنة بين الختمين في معالجة منهج أبي داود وروايات السنن وأسانيده وشروحه.
5. بيان أوجه الاتفاق والاختلاف وما انفرد به كل واحد من الختمين.
6. إبراز القيمة العلمية لكل ختم وإسهامه في خدمة سنن أبي داود.

خامسًا: الدراسات السابقة

وقفت على عدد من الأعمال المتصلة بموضوع البحث، ويمكن تصنيفها في اتجاهين:

الأول: دراسات عامة في كتب الختوم، ومن أبرزها:

1- ختمات صحيح البخاري، ليوسف الكتاني، بحث منشور في مجلة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد (240)، 1404هـ 1984م.

2- الختم ومفهومه عند المحدثين، للدكتور ملفي حسن الشهري، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بجامعة الأزهر، العدد (24)، 1427هـ، 2006م.

3- علم الأختام الحديثية، للباحث أحمد عبد الحميد أحمد حباجة، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، مصر، المجلد (6)، العدد (1)، 1441هـ، 2019م.

4- ختم الكتب الحديثية: ختم صحيح البخاري عند المغاربة أنموذجا، للباحث خالد بن احسين، رسالة ماجستير بجامعة محمد الأول، بوجدة، المملكة المغربية، 1443هـ، 2021م.

5- مناهج علماء الحديث في تأليف الكتب في ختم صحيح البخاري، إحصاء وتحليل، للدكتور مصطفى محمد يسلم الأمين الجكني، بحث منشور في المؤتمر السنوي العالمي (الإمام 4) للسنة النبوية، بمعهد دراسات الحديث الشريف في الكلية الجامعة الإسلامية العالمية بسلانجور، ماليزيا، 1441هـ، 2019م.

6- ما ورد في مقدمات تحقيق عدد من كتب الختوم من تعريف بهذا الفن ونشأته وخصائصه، ومن أفضلها على سبيل المثال:

- بداية القاري في ختم صحيح البخاري، للشيخ ناصر الدين محمد بن سالم الطبلاوي، تحقيق د نضال علي حسين، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية، العدد (16)، 2017م.

- الانتهاض في ختم الشفاء لعياض، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق د عبداللطيف محمد الجيلاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م.
- ختم جامع الإمام الترمذي، لعبد الله بن سالم البصري، تحقيق د العربي الدائز الفرياطي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ، 2002م.

الثاني: الدراسات المصاحبة لتحقيق الختمين محل البحث، فقد اشتملت مقدمة تحقيق "بذل المجهود في ختم سنن أبي داود" للدكتور بدر بن محمد لعماش، وتحقيق الدكتور عبد اللطيف بن محمد الجيلاني، ومقدمة تحقيق "ختم سنن الإمام أبي داود" لمحمد محمد النورستاني على ترجمة للأمامين السخاوي والبصري، وإثبات نسبة الكتاب إليهما، والتعريف بموضوع الكتابين ونسخهما الخطية، كما اشتملت على دراسة للكتابين ومنهجهما.

وتختلف هذه الدراسة عن تلك الأعمال جميعها في أنها لا تقتصر على التعريف بكل كتاب على حدة؛ بل تتجه إلى الموازنة المباشرة بين الختمين في المنهج والمضمون، واستقراء مواضع الاتفاق والاختلاف والانفراد، والكشف عن القيمة العلمية لكل منهما في خدمة سنن أبي داود.

سادساً: منهج البحث

يعتمد البحث على **المنهج الاستقرائي والمقارن والتحليلي**، وذلك على النحو الآتي:

1. استقراء مادة خَتْمَي سنن أبي داود للسخاوي والبصري، واستخراج الموضوعات الرئيسة والفرعية التي تناولاها.
2. تصنيف الموضوعات المشتركة بين الختمين بما يتيح المقارنة المباشرة بينهما.
3. مقابلة ما أورده السخاوي بما أورده البصري في المسألة الواحدة، مع بيان مواضع الاتفاق والاختلاف والزيادة والانفراد.
4. تحليل طريقة كل مؤلف في عرض المادة، والنقل عن المصادر، والمناقشة والترجيح.
5. استخلاص السمات المنهجية والقيمة العلمية لكل ختم في ضوء نتائج المقارنة.

سابعاً: إجراءات البحث:

يسير البحث وفق الإجراءات الآتية:

1-عزوت الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

2-خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، مع نقل أحكام العلماء عليها، دون التوسع في دراستها.

3-اعتمدت في ختم السخاوي النسخة التي حققها الدكتور بدر محمد العماش، وفي ختم البصري النسخة التي حققها محمد محمدي النورستاني، وأحيل عند المقارنة لأرقام النسختين.

4-ذكرت عند العزو اسم المرجع، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث -إن وجد-.

5-عزوت أقوال الأئمة إلى مصادرها ما أمكن، وإلا فإلى أقرب مصدرٍ ينقل عنهم.

6-بيَّنت ما تدعو الحاجة العلمية إلى بيانه في أثناء البحث.

7-لم ألتزم الترجمة للأعلام، مشهورين كانوا أو غير مشهورين، إلا عند الحاجة إلى رفع لبس أو إزالة توهم.

8-إذا تكرر ذكر مسألة أحلت إلى الموضع الأول، إلا إذا كان الموضع قريبًا.

ثامناً: حدود البحث:

تقتصر الدراسة على خَتْمَي سنن أبي داود: **"بذل المجهود في ختم سنن أبي داود"** للحافظ السخاوي، و**"ختم سنن الإمام أبي داود"** للإمام عبد الله بن سالم البصري، من حيث بناؤهما ومنهجهما ومصادرهما وموضوعاتهما، والموازنة بينهما في جميع مباحث الختمين، ومنها: التعريف بأبي داود وكتابه، وروايات السنن وأسانيده وشروحه، وما يتصل بذلك من مسائل.

تاسعاً: خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في **مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة**، على النحو الآتي:

المقدمة

وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلته وتساؤلاته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته، وحدوده، وخطته.

المبحث الأول: كتب الختوم عند المحدثين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم كتب الختوم ونشأتها.

المطلب الثاني: موضوعات كتب الختوم وخصائصها.

المطلب الثالث: القيمة العلمية لكتب الختوم.

المبحث الثاني: خَتْما سنن أبي داود للسخاوي والبصري

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسخاوي والبصري ومكانتهما في التأليف في الختوم.

المطلب الثاني: التعريف بالختمين ونسبتهما إلى مؤلفيهما.

المطلب الثالث: بناء الختمين ومصادرهما وموضوعاتهما.

المبحث الثالث: الموازنة بين الختمين

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الموازنة في التعريف بالإمام أبي داود وترجمته.

المطلب الثاني: الموازنة في التعريف بسنن أبي داود ومنهج مصنفه.

المطلب الثالث: الموازنة في روايات السنن وأسانيدها وشروحها.

المطلب الرابع: الموازنة في خاتمة الختمين.

المطلب الخامس: أوجه الاتفاق والاختلاف والانفراد بين الختمين.

المطلب السادس: القيمة العلمية للختمتين ونتيجة الموازنة العامة.

ثم **الخاتمة**، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: كتب الختوم عند المحدثين

تُعَدُّ كتب الختوم نوعا من أنواع التأليف العلمي الذي ارتبط بمجالس قراءة الكتب وتدريسها، ولا سيما كتب الحديث، ونشأ عن عناية العلماء بختم الكتب المقروءة وإفراد المجلس الأخير منها بمزيد عناية؛ فجاوزت هذه المجالس مجرد إتمام القراءة إلى التعريف بالكتاب ومصنفه، وبيان منهجه وقيمته العلمية، وذكر أسانيده ورواياته وما يتصل به من فوائد ومسائل.

وقد تطورت هذه المجالس حتى صار ما يلقى فيها يُدوَّن في مصنفات مستقلة عرفت بكتب الختوم[1]. وتكتسب دراسة هذا النوع من التصنيف أهمية خاصة في هذا البحث؛ إذ ينتمي إليه الكتابان محل الدراسة: بذل المجهود في ختم سنن أبي داود للسخاوي، وختم سنن الإمام أبي داود لعبد الله بن سالم البصري.

المطلب الأول: مفهوم كتب الختوم ونشأتها

أولًا: مفهوم كتب الختوم

الختم في اللغة:

قال الخليل: خَتَم يختِمُ خَتْماً أي: طَبَع فهو خاتِمٍ. والخاتَمُ: ما يوضع على الطينة، والخِتام، والختم: الطين الذي يُخْتَمَ به على كتابٍ، وخِتامُ الوادي: أقصاه، ... وخاتِمة السورة: آخرها، وخاتِمُ العمل وكل شيء: آخرهُ[2].

قال إبراهيم الحربي: خَتْمُ الْكِتَابِ: آخِرُ مَا يُعْمَلُ مِنْهُ [3].

قال ابن دريد: ختمت الشَّيْء أختمه ختما إذا بلغت آخِره، وقال: ختام كل شَيْء: مَا ختمته بِهِ[4].

قال ابن دُرُسْتَوَيْه: الْخَتْمُ آخِرُ الْأَمْرِ، وَآخِرُ كُلِّ شَيْءٍ خَاتِمَتُهُ، وَخَتْمُ الْكِتَابِ أَيْضاً آخِرُ أَعْمَالِهِ[5].

قال الأزهري: الْخِتَامُ: الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ على كِتابٍ[6].

---

(1) انظر: ختمات صحيح البخاري، يوسف الكتاني (ص1)، ومقدمة ختم صحيح البخاري من سبعة وعشرين علما، لأبي الفيض الكتاني (ص 5).

(2) العين، للخليل الفراهيدي (4/ 241).

(3) غريب الحديث، لإبراهيم الحربي (2/ 557).

(4) جمهرة اللغة، لابن دريد (1/ 389).

(5) تصحيح الفصيح وشرحه، لثعلب (ص 473).

(6) تهذيب اللغة، للأزهري (7/ 137).

قال ابن فارس: الْخَاءُ وَالتَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بُلُوغُ آخِرِ الشَّيْءِ. يُقَالُ خَتَمْتُ الْعَمَلَ، وَخَتَمْتَ الْقَارِئُ السُّورَةَ[1].

الختم في الاصطلاح:

يمكن تعريف **مجلس الختم** بأنه: مجلس أو أكثر يعقد في ختام قراءة كتاب أو شرحه في علم من العلوم، ويُعنى فيه بآخر ما يعرض من الكتاب من حديث أو مسألة علمية، ويذكر الشيخ فيه سنده إلى الكتاب، وترجمة مصنفه، والتعريف بالكتاب ومنهجه ومكانته، وما يراه من فوائد متصلة به، وقد يختلف أصحاب الختوم في العناية بذكر أمورٍ ينفرد بعضهم بها عن غيره، ويرى أهميتها، ويبرز من خلالها مكانته العلمية، ويختم المجلس بالأدعية، والأذكار، والقصائد، والثناء، بحضور الأكابر، والفضلاء[2].

وعلى ذلك يمكن تعريف **كتب الختوم** بأنها :المصنفات التي دوَّنت ما أُلقي في مجالس ختم الكتب، أو أُلِّفت لمناسبتها، واشتملت على التعريف بالكتاب ومصنفه وأسانيده ومنهجه وخصائصه، وما يتصل بذلك من فوائد علمية.

وهذا التعريف أخص من مطلق الكتابة في أواخر الكتب؛ لأن المقصود هنا نوع من التأليف ارتبط بختم قراءة كتاب معين أو تدريسه، ثم استقل بالتدوين والتصنيف.

ثانيًا: نشأة كتب الختوم

لا يمكن تحديد تاريخ دقيق لنشأة كتب الختوم، ولا الجزم بأول من صنف فيها؛ لأن هذا النوع من التأليف لم يظهر ابتداءً مكتمل الصورة، وإنما سبقته صور علمية تشترك معه في بعض الخصائص.

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس (2/ 245).

(2) انظر: ختمات صحيح البخاري، يوسف الكتاني (ص 2)، ومقدمة عمدة القارئ والسامع بختم الكتاب الجامع، تحقيق د مبارك بن سيف الهاجري، (ص 297)، وتحقيق د: علي العمران، (ص 6)، ومقدمة بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، تحقيق د: بدر بن محمد العماش (ص 17)، وتحقيق عبداللطيف بن محمد الجيلاني (ص 4).

ومن أبرز ما يمكن عده من إرهاصاته: مجالس الإقراء[1]، وكتب المداخل[2]، وكتب الأمالي[3]، وكتب الافتتاحيات[4]؛ إذ تشترك هذه الأنواع مع كتب الختوم في اتصالها بقراءة الكتب وتدريسها، والتعريف بها أو بيان ما يتعلق بها من مسائل وفوائد .

أما من حيث التأليف المستقل، فإن أقدم ما وصل إلينا من كتب الختوم هو كتاب "**المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد**" للحافظ محمد بن محمد ابن الجزري (ت 833هـ)، وقد أرخ لختمته سنة (828هـ)[5]، ثم جاء بعده ابن ناصر الدين الدمشقي (ت 842هـ)، فألف أربعة كتب في الختوم[6]، ثم اتسع التصنيف في هذا الفن على يد الحافظ السخاوي (ت 902هـ)، الذي كثر تأليفه فيه وأسهم في شهرته؛ حيث بلغ ما ألَّف في هذا الفن ثلاثة عشر خَتْمًا[7]، ثم برز بعده الإمام عبد الله بن سالم البصري (ت1134هـ)، وله عدد من كتب الختوم .

ومن هنا يظهر أن كتب الختوم - بحسب ما وصل إلينا - أخذت تتضح بوصفها نوعا مستقلًا من التأليف منذ القرن التاسع الهجري، ثم اتسعت بعد ذلك، ولا سيما في خدمة كتب الحديث.

وينبغي الاحتراز هنا من القطع بأن ابن الجزري **أول من ألَّف** في الختوم مطلقاً؛ والأدق أن يقال: إن كتابه أقدم ما وصل إلينا؛ لاحتمال وجود مؤلفات أسبق لم تصل أو لم يكشف عنها.

المطلب الثاني: موضوعات كتب الختوم وخصائصها

لم تلتزم كتب الختوم منهج تأليف موحد من حيث مادتها وحجمها، وإنما اختلفت باختلاف الكتاب المختوم، وتخصص مؤلف الختم، والمناسبة التي أعد لها. ومع ذلك يمكن استنباط جملة من الموضوعات والخصائص المشتركة بينها.

---

(1) الإقراء في اللغة: هو عين القراءة، فقد روى عن سيبويه أن قرأ واقترأ بمعنى واحد. لسان العرب، لابن منظور (1/ 129).

(2) منها ما هو مدخل لعلم من العلوم، ومنها ما هو مدخل لكتاب معين، وهو المراد هنا، مثل كتاب الحاكم: المدخل إلى الصحيح. انظر الفهرست، لابن النديم (ص 223)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة (ص 1641/2-1643).

(3) قال حاجي خليفة: جمع الإملاء وهو أن يعقد عالم، وحوله تلاميذه بالمحابر، والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً، ويسمونه الإملاء، والأمالي، وكذلك كان السلف من الفقهاء، والمحدثين، وأهل العربية، غيرهم. (كشف الظنون، 160/1)، وخص الإملاء عند المحدثين الكتاني فقال: أن يكتب المستملي في أول القائمة: هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا، في يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بأسانيده أحاديث، وآثار، ثم يفسر غريبها، ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد، أو بدونه ما يختاره، أو ما يتيسر له. (الرسالة المستطرفة، للكتاني ص 159).

(4) مصنّفات يضعها العالم أو يمليها برسم الشروع في إقراء كتاب من الكتب أو تدريسه. مقدمة إملاء الاستذكار، لأبي طاهر السلفي، تحقيق عبد اللطيف الجيلاني (ص 4).

(5) المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد، ص 7.

(6) الضوء اللامع، للسخاوي (8/ 88).

(7) الضوء اللامع، للسخاوي (1/ 14).

فمن حيث **موضوعاتها**[1]، يكثر فيها التعريف بصاحب الكتاب المختوم وترجمته ومكانته العلمية، والتعريف بالكتاب وقيمته، وبيان منهج مؤلفه، وذكر روايات الكتاب وأسانيده وطرقه، وما صنف عليه من شروح أو مختصرات أو مستخرجات، إلى جانب الفوائد العلمية المتعلقة بمادته، وهذه السمة ظاهرة بوضوح في الختمين محل الدراسة.

أما من حيث شكل الختم، فيأتي على صورتين أساسيتين: ختم يقع بعد مجرد قراءة الكتاب وعرضه[2]، وختم يأتي بعد قراءة الكتاب وشرحه، وهي الصورة الأغلب[3].

ومن أبرز خصائص هذه الكتب ارتباطها بمجالس العلم والإقراء؛ فهي ليست في أصلها تصنيفًا منفصلًا تمامًا عن العملية التعليمية، بل قد تكون مادتها قد أُلقيت في مجلس الختم، ثم عُني بتدوينها بعد ذلك. وقد يلقي الشيخ الختمة، فيكتبها بعض طلابه، ثم يعرضونها عليه؛ فيراجعها ويزيد فيها وينقص حتى تصير مؤلفًا[4].

ويفسر هذا جانبًا من طبيعة كتب الختوم؛ إذ تجمع بين **الطابع التعليمي والتأليف العلمي**، كما يفسر تفاوتها في ترتيب موضوعاتها واستطراداتها؛ لأنها لم تنشأ كلها ابتداءً على صورة التصنيف الموضوعي المجرد.

المطلب الثالث: القيمة العلمية لكتب الختوم

لا تقتصر قيمة كتب الختوم على كونها شاهدًا على تقاليد مجالس القراءة عند العلماء، وإنما تمثل مصادر علمية لها أهميتها في دراسة الكتب ومصنفيها ومناهج تلقيها.

(1) انظر: ختمات صحيح البخاري، يوسف الكتاني (ص 3)، والانتهاض في ختم الشفا لعياض، للسخاوي (ص 3-4)، ومقدمة عمدة القارئ والسامع بختم الكتاب الجامع، تحقيق د مبارك بن سيف الهاجري، (ص 297)، وتحقيق د: علي العمران، (ص 6)، ومقدمة بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، تحقيق د: بدر بن محمد العماش (ص 17)، وتحقيق عبداللطيف بن محمد الجيلاني (ص 4).

(2) انظر: ختمات صحيح البخاري، يوسف الكتاني (ص 2)، فقد ذكر عدد من الختمات من هذا النوع، وأنه شائع في المغرب العربي.

(3) هو الذي عليه الختوم العلمية، انظر عدد منها في ختمات صحيح البخاري، يوسف الكتاني (ص 2)، ومقدمة ختم صحيح البخاري من سبعة وعشرين علما، لأبي الفيض الكتاني (ص 5)، ومقدمة بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، تحقيق عبداللطيف بن محمد الجيلاني (ص 4).

(4) مقدمة ختم صحيح البخاري من سبعة وعشرين علما، لأبي الفيض الكتاني (ص 5)

ISSN : 2410-1818

وتظهر قيمتها في الأمور الآتية[1]:

1- **دراسة مناهج المصنفين**؛ إذ يكون مؤلف الختم قد فرغ من قراءة الكتاب أو تدريسه، فيقدم في ختمه خلاصة نظره فيه، وما تبين له من منهج مؤلفه وخصائص تصنيفه. قال الدكتور عبد اللطيف بن محمَّد الجيلاني: تعتبر كتب الافتتاحيات - وكذا الختمات- مرجعاً مهماً في دراسة مناهج المصنفين؛ إذ يتضمن كثير منها خلاصة الاستقراء لتلك المناهج، كما أنها مصدر لا يستغنى عنه فيما يتعلق بتراجم العلماء، ومعرفة أسانيد الكتب، ومدى انتشارها، واهتمام الناس بها[2].
2- **التعريف بالكتب وبيان منزلتها العلمية**: إذ تتناول موضوع الكتاب وخصائصه ومنهجه، وتبين أوجه تميزه، وطرق الانتفاع به، وقد تتعرض لما يؤخذ عليه.
3- **حفظ أسانيد الكتب ورواياتها وطرق تحملها**: وهذه فائدة ذات أهمية خاصة في كتب الحديث، لما تتضمنه بعض الختوم من أسانيد أصحابها إلى الكتب، وبيان طرق الرواية والسماع والإجازة، والمفاضلة بين الروايات.
4- **تراجم المصنفين وتاريخ الكتب وانتشارها**: إذ تجمع معلومات عن المؤلف وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته ومكانته، فضلًا عن روايات كتابه وشروحه ودرجة عناية العلماء به. ولهذا وصفت كتب الختوم بأنها مصدر لا يستغنى عنه في بعض ما يتعلق بتراجم العلماء وأسانيد الكتب ومدى انتشارها والاهتمام بها.

وتتضح أمثلة هذه القيم في خَتْمَي سنن أبي داود موضع الدراسة؛ إذ لم يقتصر السخاوي والبصري على مناسبة انتهاء قراءة السنن، وإنما ضمنا خَتْمَيْهما جميع النقاط السابقة فظهر عندهما مادة حديثية وتاريخية ومنهجية واسعة تتعلق بأبي داود وكتابه ورواياته ومنهجه ومكانة السنن، وغيرها.

ومن ثم فإن المقارنة بين الختمين لا تكشف عن منهج مؤلفيهما فحسب، بل تقدم نموذجًا تطبيقيًا للقيمة العلمية التي يمكن أن تختزنها كتب الختوم.

مما سبق يتبين أن كتب الختوم عند المحدثين نشأت في بيئة علمية مرتبطة بقراءة الكتب وإقرائها، ثم تطورت إلى نوع مستقل من التصنيف، يجمع بين التعريف بالكتاب ومؤلفه، ودراسة منهجه ورواياته وأسانيده، وإبراز قيمته العلمية. وقد أسهم كبار المحدثين في ترسيخ هذا النوع من التأليف، وفي مقدمتهم السخاوي، ثم استمر التصنيف فيه إلى عصور متأخرة، وامتد التصنيف فيه إلى العصر

(1) انظر مقدمة ختم صحيح البخاري من سبعة وعشرين علما، لأبي الفيض الكتاني (ص 5)، الانتهاض في ختم الشفا لعياض، للسخاوي (ص 3-4)، ختمات صحيح البخاري، ليوسف الكتاني (ص 3).

(2) مقدمة إملاء الاستذكار، لأبي طاهر السلفي (ص10).

الحاضر؛ إذ ألَّف بعض العلماء المعاصرين ختومًا لبعض الكتب، وهي منشورة[1]، ومن أبرز من اعتنى به بعد الحافظ السخاوي، الإمام عبدالله بن سالم البصري.

وتشكل هذه الخصائص أساسًا مناسبًا لدراسة خَتْمَي سنن أبي داود؛ إذ يمثلان نموذجين من عصرين مختلفين لكتابين اشتركا في الكتاب المختوم، واختلفا في طريقة معالجة مادته، وهو ما يمهد للتعريف بهما ثم الموازنة بين منهجي مؤلفيهما.

(1) مثل ختم الموطأ، للأستاذ الدكتور: محمد بن عمر بازمول، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى سابقا.

المبحث الثاني: خَتْما سنن أبي داود للسخاوي والبصري

يمثل خَتْما سنن أبي داود للسخاوي وعبد الله بن سالم البصري نموذجين واضحين لكتب الختوم الحديثية؛ إذ اشتركا في الكتاب المختوم، وهو سنن أبي داود، وفي جملة من الموضوعات الرئيسة المتعلقة بأبي داود وكتابه، مع تفاوت ظاهر في طريقة العرض وحجم العناية بكل موضوع. وقبل الموازنة التفصيلية بينهما، يحسن التعريف بمؤلفيهما وبالخَتْمَيْن وبنائهما العام؛ ليكون ذلك مدخلًا للمبحث المقارن الآتي.

المطلب الأول: التعريف بالسخاوي والبصري ومكانتهما في التأليف في الختوم

أولًا: الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي[1]

هو الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أحد كبار حفاظ الحديث في القرن التاسع الهجري، ولد بالقاهرة سنة (ت 831هـ)، ونشأ بها، وأخذ عن عدد كبير من العلماء بلغوا أكثر من ألف شيخ، وكان من أبرز شيوخه الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، ثم رحل إلى عدد من البلاد، وأخذ عنه خلق كثير بلغوا أكثر من ألف طالب، وتوفي بالمدينة النبوية سنة (ت 902هـ). وقد رحل إلى ديار مصر والحجاز والشام، وأكثر الأخذ والرواية، كما قد ترك مؤلفات كثيرة زادت على المائتين في فنون متعددة.

وكان للسخاوي عناية ظاهرة بكتب الختوم، حيث كان من أكثر العلماء تصنيفًا في كتب الختوم - فيما وقفت عليه-؛ فمن مؤلفاته في هذا الفن ختمات لعدد من كتب الحديث منها: عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع، وختم صحيح مسلم، وختم جامع الترمذي، وختم سنن النسائي وغيرها، فضلًا عن كتابه محل الدراسة بذل المجهود في ختم سنن أبي داود[2].

ثانيًا: الإمام عبد الله بن سالم البصري[3]

هو الإمام عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري المكي الشافعي، المعروف بالبصري، من علماء الحديث في القرن الثاني عشر الهجري. ولد بمكة ونشأ بالبصرة في بيئة علمية، وعني بطلب الحديث والرواية، وأخذ عن عدد كبير من العلماء، وقد ذكر بعضهم في ترجمته

(1) انظر ترجمته لنفسه في الضوء اللامع (8/ 1-32)، التحفة اللطيفة (2/ 513) ترجمة (3919)، إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي، جميعها للسخاوي.

(2) انظر جميع مصنفاته في الختوم المطبوع منها والمخطوط في مقدمة بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، تحقيق د: بدر بن محمد العماش (ص 17)، وتحقيق عبداللطيف بن محمد الجيلاني (ص 18).

(3) أنظر ترجمته لنفسه في الإمداد في معرفة علو الإسناد، لعبد الله بن سالم البصري، وفي من أعلام المحدثين بالحرمين الشريفين، الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي، إمام أهل الحديث بالمسجد الحرام، للعربي الدائز الفرياطي، وفي مسند الحجاز الثبت خاتمة المحدثين الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، لرضا محمد السنوسي.

لنفسه[1]، وحاول من ترجم له من المتأخرين حصر من وقفوا عليه من شيوخه فبلغ من عُلم منهم ما يقارب الخمسين[2]، كما أخذ عنه جماعة من طلاب العلم من أقطار متعددة[3].

وكان للبصري عناية ظاهرة بالرواية والأسانيد، وبتصحيح نسخ كتب السنة، ولا سيما صحيح البخاري، كما خلّف عددًا من المصنفات والأثبات. وبرزت عنايته بكتب الختوم، فصنف ختمات لصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وغيرها[4]. وتوفي رحمه الله بمكة سنة (1134هـ)، وصُلّي عليه بالمسجد الحرام.

المطلب الثاني: التعريف بالخَتْمَيْن ونسبتهما إلى مؤلفيهما

أولًا: خَتْم السخاوي

اسم الكتاب **"بذل المجهود في ختم سنن أبي داود"**، وتثبت نسبة الكتاب إلى السخاوي بعدة قرائن؛ منها: أن السخاوي ذكره بهذا الاسم في ترجمته لنفسه[5]، كما ورد بهذا العنوان في عدد من المصادر والفهارس[6]، وذكرا محققا الكتاب وجود الكتاب في النسخ الخطية منسوبًا إلى السخاوي[7].

ومن ثم فلا يظهر إشكال معتبر في ثبوت نسبة بذل المجهود إلى السخاوي.

ثانيًا: خَتْم البصري

اسم الكتاب **"ختم سنن الإمام أبي داود"**، وتثبت نسبة الكتاب إلى البصري بعدة قرائن، منها: ذكره بهذا الاسم بعض المؤرخين مثل عبد الله بن مرداد أبو الخير[8]، وعبد الله بن عبد الرحمن

(1) الإمداد في معرفة علو الإسناد، لعبد الله بن سالم البصري (ص 54) وما بعدها، وذكر (24) شيخا فقط.

(2) من أعلام المحدثين بالحرمين الشريفين، الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي، إمام أهل الحديث بالمسجد الحرام، للعربي الدائز الفرياطي (ص 70) وما بعدها، وذكر له (35) شيخا فقط.

(3) من أعلام المحدثين بالحرمين الشريفين، الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي، إمام أهل الحديث بالمسجد الحرام، للعربي الدائز الفرياطي (ص 102) وما بعدها، وذكر له (117) تلميذ مما ثبت أنهم سمعوا منه.

(4) أنظر مصنفات البصري والمطبوع منها والمخطوط في مسند الحجاز الثبت خاتمة المحدثين الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، لرضا محمد السنوسي (ص 24) وما بعدها.

(5) إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي (ص 563)، الضوء اللامع (8/ 18)، كلاهما للسخاوي.

(6) هدية العارفين، لإسماعيل باشا (2/ 220)، فهرس الفهارس، للكتاني (2/ 991).

(7) مقدمة بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، للدكتور بدر العماش (ص 10).

(8) المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، لعبد الله مرداد (ص 291).

المعلمي[1]، وذكر محقق الكتاب وجود الكتاب في النسخ الخطية منسوبًا إليه في بداية المخطوط وآخره[2].

وبهذا يكون بين الكتابين قدر واضح من التجانس من جهة الجنس العلمي والموضوع؛ فكلاهما **ختم لسنن أبي داود**، وكلا مؤلفيهما ممن تكرر منه التصنيف في الختوم، وهو ما يهيئ أساسًا صالحًا للموازنة.

المطلب الثالث: ترتيب الخَتْمَيْن وموضوعاتهما ومصادرهما

أولًا: ترتيب الخَتْمَيْن

لا يسير الختمان على خطة وترتيب مصرح بها في أصل الكتابين على طريقة البحوث المعاصرة، وإنما تتوالى موضوعاتهما بحسب المقاصد العلمية التي أراد كل مؤلف إبرازها.

فختم السخاوي يبدأ بالعناية بكتاب السنن ومكانته وشرط أبي داود ومنهجه، ثم ينتقل إلى روايات الكتاب وأسانيده وشروحه، ثم يعرج على ترجمة أبي داود ومناقبه وفوائده.

أما خَتْم البصري، فقد بدأ بشرح آخر حديث في سنن أبي داود، ثم أورد مقدمة مطولة، أعقبها ببيان منزلة السنن وشرط أبي داود ومنهجه فيه، وما اشتمل عليه الكتاب من الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، ومسألة سكوت أبي داود عن بعض الأحاديث. ثم انتقل إلى ترجمة أبي داود وتوسع فيها، وتحدث عن شروح السنن، وتلاميذ أبي داود، ورواة الكتاب وخصائص رواياتهم، ثم ساق سنده إلى السنن، وختم كتابه بحديث في الدعاء.

ومن ثم فالترتيب في الختمين متقارب في عناصره الكبرى، لكنه يختلف في ترتيبها ومقدار المساحة التي يمنحها كل مؤلف لكل عنصر.

ثانيًا: موضوعات الخَتْمَيْن

تتقاطع موضوعات الختمين في عدد كبير من المسائل، مع وجود مسائل يذكرها أحدهما دون الآخر، ويمكن إجمالها في أربعة محاور كبرى:

1. **التعريف بالإمام أبي داود** :اسمه ونسبه، مولده ووفاته، رحلاته، شيوخه، تلاميذه، مذهبه، مكانته العلمية، مصنفاته، ومناقبه.

(1) أعلام المكيين، لعد الله المعلمي (ص 295).

(2) مقدمة ختم سنن الإمام أبي داود، لمحمد النورستاني (ص 38).

2. **التعريف بسنن أبي داود** :منزلته بين كتب السنة، فضله، عدد أحاديثه، شرط أبي داود فيه، ومنهجه في التصنيف، وطريقته في الاختصار والتكرار وسياق الأسانيد وذكر الغريب وأسماء الرواة .
3. **روايات السنن وأسانيده وخدمته العلمية**: رواة الكتاب، المفاضلة بين الروايات، أسانيد المؤلفين إلى السنن، شروح الكتاب، وما صنف في خدمته .
4. **الفوائد الحديثية والعلمية المتفرقة** :كالنقول عن أبي داود، وبعض المسائل المتعلقة بالأحاديث، وأخبار الكتاب ومؤلفه، وما يختم به المجلس من حديث أو دعاء .

وتميز السخاوي بتناول روايات السنن بتفصيل من حيث عدد الرواة، ومنزلة الروايات، وبيان الراجح منها، وأسانيده إليها. كما عُني بشروح السنن وعلاقتها بعضها ببعض.

وفي المقابل يظهر عند البصري توسع أوضح في ترجمة أبي داود ومناقبه، وفي نقل عبارات العلماء في فضله وفضل كتابه.

وبذلك فإن الموضوعات المشتركة بين الختمين كثيرة، لكن التفاوت بينهما يظهر في **درجة التوسع، وترتيب الموضوعات، وطريقة المعالجة**، وهو ما سيكون أساس الموازنة في المبحث الثالث.

ثالثًا: مصادر الخَتْمَيْن

تُعرف مصادر الختمين من خلال النقول والإحالات المبثوثة في ثناياهما، إذ لا يضع أي منهما قائمة مستقلة بالمصادر.

ويظهر في ختم السخاوي الاعتماد على المصادر المتصلة مباشرة بسنن أبي داود، ورواياته، وأسانيده، ورسالة أبي داود إلى أهل مكة، إلى جانب كتب الحديث والرجال والتراجم والشروح، مع الاعتماد على أقوال العلماء في مناقشة قضايا الكتاب، لا سيما ما يتعلق بشرط أبي داود، وسكوته عن الحديث، وروايات السنن، وترجيح بعضها على بعض[1].

أما البصري فيعتمد كذلك على كتب التراجم والطبقات وشروح السنن وأقوال المتقدمين في فضل أبي داود وكتابه. فلما تكلم عن فضل السنن قام بذكر نقول عن الخطيب والصاغاني والحربي والحاكم وابن الأعرابي والخطابي والعراقي وابن حجر[2].

ويظهر من ذلك أن مصادر الختمين متقاربة في أصولها، غير أن طريقة الإفادة منها تختلف من حيث الاستيعاب والمناقشة والترجيح.

(1) انظر: مقدمة بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، تحقيق عبداللطيف بن محمد الجيلاني (ص 26).

(2) انظر: ختم سنن أبي داود، للبصري، تحقيق محمد النورستاني، الصفحات (ص 67، 69، 70، 73، 78، 83، 92،).

المبحث الثالث: الموازنة بين الخَتْمَيْن

تكشف المقارنة بين بذل المجهود في ختم سنن أبي داود للحافظ السخاوي، وختم سنن الإمام أبي داود لعبد الله بن سالم البصري عن اشتراكهما في جملة كبيرة من الموضوعات، مع اختلاف ظاهر في مقدار العناية بها وطريقة معالجتها. ولا يقف الفرق بينهما عند الزيادة والنقص في المعلومات، بل يمتد إلى طبيعة المنهج؛ - وهو ما يأتي بالتفصيل - فالسخاوي أكثر ميلًا إلى الاستقراء والمناقشة والموازنة بين الروايات والأقوال، في حين يغلب على البصري الجمع والنقل والاستفادة مما سبقه، مع ظهور اجتهاده في مواضع من الترجيح والتعقيب.

المطلب الأول: الموازنة في التعريف بالإمام أبي داود وترجمته

اهتم السخاوي والبصري بترجمة الإمام أبي داود؛ وهو أمر يتناسب مع طبيعة كتب الختوم التي تجمع بين التعريف بالكتاب والتعريف بمصنفه. وقد تناول الختمان اسمه ونسبه، ومولده ووفاته، ورحلاته، وشيوخه، ومكانته العلمية، ومذهبه، ومصنفاته، وتلاميذه، ومناقبه، إلا أن مقدار التفصيل يختلف بينهما.

أولًا: اسمه ونسبه ومولده ووفاته

اعتنى السخاوي بذكر الاختلاف في اسم أبي داود ونسبه (ص 68)، فقد ذكر اسمه من سبعة أسماء ونسبتين، ولم يكتف بسرد الأقوال؛ بل تعرض للترجيح بينها وضبط النسبة وبيان وجهها. كما ناقش نسبة أبي داود إلى سجستان، وتعرض لبعض ما قيل في ضبطها وأصلها. ويظهر في هذا الجانب ميله إلى تحرير المسائل المتعلقة بالاسم والنسبة وعدم الاكتفاء بمجرد النقل.

أما البصري فذكر كذلك اسم أبي داود ونسبه (ص 64) فقد ذكر اسمه من ثمانية أسماء ونسبتين؛ إلا أن طريقته أقرب إلى جمع الأقوال المتداولة في كتب التراجم دون توسع مماثل في مناقشة النسب والترجيح بينها.

وفي المولد والوفاة اتفق الختمان على أصل ذكرهما، مع زيادة السخاوي (ص 69) فوائد تتعلق بمن تقدمه أو تأخر عنه مولدا أو وفاة من الأئمة المشهورين، بينما كان عرض البصري (ص 90) أقرب إلى النقل المباشر عن أحد الأئمة ممن ذكر مولده ووفاته.

ثانيًا: رحلات أبي داود وشيوخه

أفاض السخاوي في ذكر رحلات أبي داود (ص 70)، فذكر كم كان سنه عند أول رحلة، ثم ذكر رحلاته إلى بغداد والبصرة والكوفة ودمشق وخراسان ومصر والجزيرة، وربط بعض الرحلات بشيوخه ومواضع سماعه.

ISSN : 2410-1818

أما شيوخه (ص 71) فذكر أن عددهم نحو ثلاثمائة شيخ ولم يستوعب أسماءهم، ولكن خص أخذه عن الإمام أحمد ويحيى بن معين في الحديث والفقه، وخص صلته بأحمد بعناية ظاهرة.

أما البصري فذكر الرحلات السابقة (ص 84-86)، وزاد في بعض تفاصيل الرحلات، ومن ذلك ذكر رحلته للحجاز، وأشار إلى رحلة أبي داود مع ابنه عبد الله إلى خراسان.

كما اعتنى بذكر شيوخه (ص 108) وتصنيفهم بحسب أماكن السماع منهم، كما بيَّن عند ذكر شيوخه أعلاهم إسنادًا بالنسبة إليه، والشيوخ الذين تفرد بهم عن الجماعة مع التمثيل لذلك.

ويتضح هنا أن كليهما لم يقصد استيعاب الترجمة التاريخية لأبي داود بقدر ما انتخب منها ما يظهر مكانته الحديثية وصلته بالأئمة الذين أثّروا في تكوينه العلمي.

ثالثًا: مذهبه ومكانته العلمية

من المواضع التي يظهر فيها تميز السخاوي من جهة المناقشة ما يتعلق بمذهب أبي داود (ص 71-72)؛ فقد ذكر القول بأنه شافعي، ومن قال به، والقول بأنه حنبلي، ومن قال به، ثم ساق ما استدل به لكل قول، مع عناية واضحة بعلاقته بالإمام أحمد. أما البصري فلم يجعل هذه المسألة بمقدار التفصيل نفسه.

وفي المكانة العلمية اشترك الختمان في نقل ثناء العلماء على أبي داود ووصفه بالحفظ واليقظة والإتقان والإمامة. وقد جمع السخاوي عددًا كبيرًا من نصوص العلماء (ص 74-76)، كما جمع البصري جملة أخرى منها (ص 84-90)، واتفقا في عدد من الأسماء، وانفرد كل واحد ببعض النقول. وقد ذكر السخاوي ثلاثة عشر نصًا، وذكر البصري أحد عشر نصًا، مع زيادات ونقص بينهما.

رابعًا: مصنفاته وتلاميذه ومناقبه

تميز السخاوي بالإكثار من ذكر مصنفات أبي داود (ص 80)، فذكر عددًا كبيرًا منها، ولم يحصر عنايته في السنن وحده، بل أشار إلى كتبه في جميع العلوم، وفي الجانب الآخر لم يذكر البصري من مصنفاته شيئا.

وأما التلاميذ فتوسع السخاوي أيضا (ص 86) وقد صنفهم طبقات: طبقة من سمع منه من أصحاب الكتب الستة، وطبقة من سمع منه من الحفاظ، وطبقة من سمع منه من الأئمة، وطبقة من سمع منه من شيوخه، وطبقة آخر من روى حديثه عاليا، وأما البصري (ص 96) فذكرهم دون تفصيل ولكن أثبت سماع النسائي من أبي داود صريحا وبالكنية.

أما مناقب أبي داود فقد نقلا عددا من النصوص عن الأئمة في بيان ذلك، مع تميز السخاوي (ص 89-98) بتنوع النقل وحسن الاختيار، فمن النقول ما يبين تسوية أبي داود بين الشريف والوضيع في طلب

الحديث، ومنها ما يبين عدم محابته في الجرح والتعديل وتجريحه لابنه عبد الله، وقد شاركه البصري (ص 89-90) في عدد من تلك النقول ولم يزد.

المطلب الثاني: الموازنة في التعريف بسنن أبي داود ومنهج مصنفه

هذا الجانب من أهم مواضع المقارنة بين الختمين؛ لأن كليهما لم يقتصر على الثناء العام على السنن، بل تناول شرط أبي داود ومنهجه وطريقة تصنيفه، ومكانة الكتاب بين دواوين السنة.

أولًا: مكانة السنن وفضله

اتفق السخاوي والبصري على بيان علو منزلة سنن أبي داود عند المحدثين والفقهاء، واستندا في ذلك إلى أقوال عدد من الأئمة.

إلا أن السخاوي ناقش بعض العبارات التي أطلقت على الكتاب في مواضع مختلفة من ختمه (ص 26، 28-30، 33-37، 42، 67-68) كإطلاق اسم الصحيح عليه، وتقديمه أحيانًا على صحيح البخاري، وبيان مراد العلماء بذلك، ومشابهته لبعض صنيع صاحبي الصحيحين، وأن كتابه أصبح حكما بين أهل الإسلام، وأنه من ألزم الكتب تعلّمًا بعد القرآن، وتميز أبي داود بعلم الرجال مما انعكس أثره في كتابه، وأنه ألفه مبكرا مما جعل عنده الزمن الكافي للمراجعة مع عرضه على مشايخ زمانه فاستحسنوه ومنهم الإمام أحمد، وذكر له منامات تدل على فضله وفضل كتابه.

أما البصري فأبرز فضله من خلال أنه بدأ ختمه بذلك (ص 67-72)، وأكثر نقل عبارات العلماء فيه؛ فنقل أغلب ما ذكره السخاوي وأسنده لمن قاله نحو أقوال الخطيب، والصاغاني، والحربي، والحاكم، وابن الأعرابي، والخطابي، والواذاري، والساجي، وزاد عليه فنقل تقديم سنن أبي داود عند أهل العراق، ومصر، والمغرب، ونقله عن الخطابي، ولم يناقش المسألة، ونقل عن أحمد بن محمد بن مخلد أن الكتاب صار لأصحاب الحديث كالمصحف، ونقل عن الخطابي وصفه بأنه كتاب شريف لم يصنف في علم الدين مثله، وعن غيره ما يدل على شيوع اعتماده عند العلماء، وأن السنن جمع من أحاديث أصول الفقه وأمهات السنن، وأحكام الفقه، ما لم يسبقه به أحد ولا لحقه، وبين سبق أبي داود في جمع أحاديث الأحكام، وتفرد بالتميز في صنعة الجمع لها، ثم ذكر منامات غير التي ذكرها السخاوي.

وعليه؛ فإن البصري قد تميز بإثراء هذه النقطة، بأن ابتدأ بها ختمه، ثم بإسناد النقول لأصحابها، مع زيادة مسائل مهمة تبين مكانة السنن وفضله وسبق أبي داود في فنه، وتميز السخاوي بكثرة مناقشة ما ينقل من أقوال لمكانة الكتاب بين دواوين السنة.

ثانيًا: شرط أبي داود في السنن

تحدث السخاوي (ص 27-28) عن قول أبي داود في رسالته إلى أهل مكة: إنه يورد في كل باب أصح ما عرفه، وقد يخرج المرسل والضعيف عند عدم وجود غيره، ولا يخرج الغرائب إلا قليلًا، ويبين ما كان شديد الوهن، وأن ما سكت عنه فهو صالح. ثم ناقش مفهوم "الصالح" وما المراد بسكوت أبي داود، ولم يسلم بالتوسع في الحكم على كل مسكوت عنه بالصحة أو الحسن، وأشار (ص 30) أنه جمع كتابه السنن على الاستقصاء في سنن العلماء، ولا يلزم منه الاستيعاب.

وهذه من أبرز سمات منهج السخاوي في الختم؛ فهو لا ينقل عبارة أبي داود فقط، وإنما يتتبع ما قاله العلماء فيها، وينبه أن الحكم على سكوت أبي داود (ص 57) يحتاج إلى مراجعة الروايات وعدم الاعتماد على نسخة واحدة؛ لاختلاف روايات السنن. وقد صرح بأن هذا الاختلاف قد يؤثر في ثبوت كلام أبي داود على الحديث.

أما البصري في (ص 77-82)، فنقل كلام ابن الصلاح في أن ما أخرجه ولم يكن في الصحيحين ولم يحكم عليه أحد أنه من قبيل الحسن عند أبي داود؛ ولم يسلِّم بهذا وناقشه من خلال كلام العلماء، وأوضح أن قوله "ما سكت عنه فهو صالح" لا يقتضي أن جميع المسكوت عنه على درجة واحدة، بل قد يكون فيه ما يصلح للاحتجاج وما لا يصلح. كما عرض الاعتراضات الواردة على حمل المسكوت عنه على الحسن بإطلاق، ثم أورد البصري مناقشة أوسع لأسباب سكوت أبي داود، وذكر وجوهًا تفسر ذلك، منها أن الحديث قد يكون ضعيفًا من وجه مع قيام ما يقويه، أو أن التصريح بضعفه لم يثبت في بعض الروايات، أو غير ذلك، ثم أحال في بقية الكلام على شرطه إلى رسالة أبي داود لأهل مكة (ص83).

وبذلك يتفقان في أصل التحفظ من إطلاق الحكم على جميع المسكوت عنه، غير أن السخاوي أظهر عناية نقدية مباشرة، والبصري أوسع في نقل مناقشات المتأخرين المتعلقة بهذه القاعدة.

ثالثًا: منهج أبي داود في ترتيب كتابه واختصاره

أبرز السخاوي جملة من خصائص منهج أبي داود، ومنها:

جمع أحاديث الأحكام (ص 37-42)، والاقتصار على ما يتعلق بها، وقد ناقش هل أوفى بشرطه؟، وهل هو المقدم في ذلك، أم غيره؟. وأنه اعتنى بألفاظ الشيوخ في صيغ الأداء (ص 32)، وضبط الأسماء والأنساب، قال: وقد شابه مسلم في هذا، وشرح غريب الحديث عند الحاجة (ص 33-34)، قال: وشابه البخاري في هذا.وذكر أقوال العلماء في بعض المسائل الأحاديث (ص 35)، ويتكلم على أسماء الرواة عند سوق الأسانيد (ص 36)، ويعلق على ما يحتاج إلى تعليق (ص 37)، كما أشار إلى أن أبا داود كان يختصر الحديث الطويل إذا كان موضع الاستدلال منه جزءًا معينًا، وأنه قد يكرر الحديث لفائدة إسنادية أو فقهية، مع الحرص على عدم التطويل (ص 21).

ISSN : 2410-1818

وفي المقابل تناول البصري من هذه الخصائص: كلام العلماء في مسألة تخصيص كتابه لأحاديث الأحكام (ص 73) حيث نقل عن بعضهم أنه حقق شرطه فيه باستيعاب معظمها، ولم يصرح هو برأيه، ثم أحال في بقية الخصائص(ص 83) على ما هو موجود في رسالة أبي داود لأهل مكة، وكأن البصري رأى أن وجودها هناك يغني عن إعادتها هنا.

ويظهر من ذلك اتفاقهما في أصل العناية بمنهج أبي داود في تخصيص كتابه لأحاديث الأحكام، مع اتساع معالجة السخاوي للخصائص التطبيقية للمنهج، واختصار البصري لها وإحالته على رسالة أبي داود إلى أهل مكة.

المطلب الثالث: الموازنة في روايات السنن وأسانيدها وشروحها

يمثل هذا الجانب أحد أوضح مواضع التفاوت بين الختمين.

أولًا: روايات سنن أبي داود

ذكر السخاوي أحد عشر راويا من رواة السنن (ص 45-47)، وأن آخرهم وفاة ابن داسة (ص 48)، وتناول منزلة رواياتهم والمقارنة بينها، مع بيان ما وقع بينها من زيادة ونقص، وترجيح بعضها على بعض (ص48)، ثم نقد روايات سنن أبي داود المتوفرة بين أيدينا وهي: رواية اللؤلؤي وابن داسة وابن الأعرابي وابن العبد، مع بيان أن رواية اللؤلؤي هي أرجحها (ص 56)، وبين سبب الترجيح في أمرين (ص 48)، ثم بين تقارب رواية ابن داسة من رواية اللؤلؤي (ص 56-57) حيث بينهما تقديم وتأخير وزيادات لابن داسة بين سببها، وحدد نقده للروايات: فبين أن رواية اللؤلؤي بعضها سماع من أبي داود وبعضها سماع من غيره، وأن رواية ابن الأعرابي سقط منها عدد من الكتب وحصر تلك الكتب الساقطة، وأن رواية ابن العبد فيها زيادة لكثير من الكلام على الأحاديث، وانتهى لتقرير أن الاختلاف في الروايات ليس أمرًا شكليًا (ص 57)؛ بل قد يؤثر في الحكم على بعض النصوص، ولا سيما ما يتعلق بتعليقات أبي داود على الأحاديث، ثم خرج بنتيجة أن الاعتماد على رواية واحدة قد يؤدي إلى نسبة حكم إلى أبي داود ليس ثابتًا في سائر الروايات، ولذلك يرى السخاوي أنه من الضرورة مراجعة الأصول المختلفة قبل الجزم بنسبة التصحيح أو التحسين إليه.

أما البصري فوافق السخاوي في كثير من كلامه على أسانيد روايات السنن، لكن لم يحدد عدد معين لرواة السنن (ص 96-99) بل قال: إنهم كثير وأحال على مكان ذكرها في تهذيب الكمال[1] وغيره، ثم ذكر منهم خمسة: اللؤلؤي، وابن داسة، وابن الأعرابي، وابن العبد، والرملي، وقال هي الطرق المتصلة بالأسانيد، ثم نقل قول الحافظ ابن حجر في نقد الروايات الذي بين أن رواية ابن الأعرابي واللؤلؤي وابن داسة مختلفة، ومع الاختلاف فإن رواية اللؤلؤي وابن داسة متقاربة ووجه

(1) (11/ 360-361).

الاختلاف في التقديم والتأخير وتنقص عنهما رواية ابن الأعرابي كثيرا بسبب الكتب التي سقطت من روايته، وسقط من رواية ابن داسة جزء من كتاب الآداب فيرويه بغير السماع عن أبي داود، ونقد مواضع النقص في بعض الروايات لما بينها (ص 99- 100)، ثم فاضل بين الروايات (ص 100- 101) وانتهى إلى أن الأكمل رواية ابن داسة ويقاربه الرملي، والأصح رواية اللؤلؤي، وبين السبب، وختم بقول العراقي: ينبغي أن يكون العمل على رواية اللؤلؤي. وجميع ما ذكره من النقد والترجيحات هو مجرد نقل لأقوال العلماء ولم يتصد للترجيح بنفسه أو كشف عن رأيه.

ويظهر من المقارنة أن السخاوي أوسع استقراءً لروايات السنن، وأظهر عناية بمناقشتها وتحليل وجوه الاختلاف بينها، والبصري أوضح في تلخيص نتيجة المفاضلة بينها بالنقولات عن العلماء.

ثانيًا: أسانيد الخَتْمَيْن إلى السنن

اعتنى السخاوي بسياق أسانيده إلى سنن أبي داود بعناية فائقة (ص48-56)، وميز بين السماع والإجازة والقراءة في صيغ الأداء، وبين مقدار ما سمعه من بعض الشيوخ وما أجازه به، كما ذكر إسناده إلى اللؤلؤي (ص 48)، ووجه الالتقاء مع ابن العبد والاختلاف اليسير بينهما، وذكر إسناده إلى ابن داسة (ص 51)، وكذا إسناده إلى ابن الأعرابي (ص 54).

أما البصري فاقتصر في السند المتصل الذي ساقه إلى الكتاب على طريق رواية اللؤلؤي (ص 101-109)، مع ذكر شيوخه الذين أجازوه بالكتاب وطرق التحمل عنهم بصيغها العلمية. ويظهر ذلك في سياقه لإسناده إلى السنن في أواخر الكتاب وحدد ما قرأه وما سمعه وما أجازه به شيوخه

ويظهر من طريقتهما في سياق الأسانيد أن السخاوي أوسع وأدق في تنويع الأسانيد؛ فقد ساق أسانيد ثلاث روايات لكتاب السنن، بينما كان إسناد البصري مقتصرا على رواية واحدة وأقل تنوعًا، كما أنهما اشتركا في بيان صيغ التحمل والتمييز بينها.

ثالثًا: شروح سنن أبي داود، وما خدم السنن من المؤلفات

اهتم السخاوي بذكر شروح سنن أبي داود (ص 58-60)، ورتبها بحسب وفيات أصحابها؛ ليكشف تطور خدمة الكتاب، فذكر معالم السنن للخطابي، وحاشية المنذري، وتهذيب ابن القيم لهما مع زيادات، وما كتبه النووي ولم يتمه، ومغلطاي، والعراقي، وابن رسلان وغيرهم، ولم يكتف بتعدادها، بل أشار أحيانًا إلى العلاقة بينها والقيمة العلمية لبعضها، ثم بين المؤلفات التي خدمت الكتاب مثل مستخرجات (ص 60): الأندلسي وأبو بكر الأصبهاني وقاسم بن أصبغ، والكتب التي اهتمت برجال السنن مثل (ص 61): كتاب أبي علي الجياني وغيره.

ISSN : 2410-1818

أما البصري فذكر أن شروح السنن قليلة (ص 92-94)، وليست ككثرة شروح الصحيحين، ثم عدد أشهرها وكانت نفسها التي ذكرها السخاوي، ونقل نحو ما ذكره السخاوي في بيان العلاقة بين الشروح أو نقد بعضها؛ إلا أنه قال: أن شرح العراقي هو أطولها.

تميز السخاوي أنه كان أوسع جمعًا وتفصيلًا، وأقرب إلى التأريخ لخدمة الكتاب، في حين أن البصري قدم عرضًا موجزًا لأشهر الشروح، ولم يزد البصري على ما ذكره السخاوي زيادةً ذات أثر في هذا الجانب، وانفرد السخاوي بذكر عدد من المؤلفات التي خدمت السنن.

المطلب الرابع: الموازنة في خاتمة الختمين

ختم السخاوي كتابه بحديث أبي برزة الأسلمي في كفارة المجلس، وساقه بإسناده إلى سنن أبي داود[1].

وأما البصري فختم كتابه بحديثين في ختم المجلس بالدعاء، الأول حديث ابن عمر رضي الله عنهما في جامع الترمذي[2]، وذكر حكم الترمذي على الحديث، والثاني حديث عائشة[3] رضي الله عنها، ولم يعزه إلى مصدره، ولم يحكم عليه، وهو حديث مسلسل في ختام المجلس بالدعاء.

فتميز السخاوي بختم كتابه بحديث أبي برزة الأسلمي في كفارة المجلس، مسندًا إياه من طريق سنن أبي داود، ويُلحظ مناسبة اختيار السخاوي حديثًا من سنن أبي داود لخاتمة كتابه، وأما البصري فاختار ما ورد في ختم المجلس بالدعاء، بما يتناسب مع طبيعة المجلس، وإن لم يخرجه أبو داود.

---

(1) سنن أبي داود (4/ 265)، رقم (4859)، وأخرجه ابن أبي شيبة (10/ 256)، وعنه أخرجه أبو يعلى (13/ 421)، وأخرجه أحمد (4/ 425)، والدارمي (2/ 367)، والحاكم (1/ 537) من طريق حجاج بن دينار عن أبي هاشم، عن أبي العالية، عن أبي برزة الأسلمي به.

وفي إسناده حجاج بن دينار، وهو الواسطي، قال الذهبي في المغني (1/ 149): قال الدارقطني ليس بالقوي.

وأخرجه ابن أبي شيبة (10/ 256) من طريق منصور عن فضيل بن عمرو، عن زياد بن الحصين قال: دخلت على أبي العالية، فلما أردت أن أخرج من عنده قال: ألا أزودك كلمات علمهن جبريل محمدا -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: قلت: بلى، قال: فذكر الحديث.

قال أبو حاتم في علل ابنه (2/ 169): حديث منصور أشبه، لأن حديث أبي هاشم رواه حجاج بن دينار عن أبي هاشم، وحجاج ليس بالقوي. وقال أبو زرعة: حديث منصور أشبه، لأن الثوري رواه وهو أحفظهم. وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح وضعيف سنن أبي داود (4859).

(2) (528/5)، رقم (3502)، يرويه خالد بن أبي عمران عن ابن عمر مرسلا، وهو عند غير الترمذي موصول عن نافع عن ابن عمر كما في السنن الكبرى للنسائي (9/ 154)، رقم (10161) وغيرها، وابن أبي عمران صدوق كما قال ابن حجر في التقريب (1662)، والذهبي في الكاشف (1344)، وحسنه الألباني كما في صحيح وضعيف جامع الترمذي رقم (3502).

(3) لمحات الأنوار، لمحمد الغافقي (3/ 1417)، المناهل السلسلة، لمحمد الأيوبي (ص: 399)، من طريق واحد وقال الأيوبي في المناهل: قال العجلوني: حديث ضعيف غريب التسلسل.

المطلب الخامس: أوجه الاتفاق والاختلاف والانفراد بين الخَتْمَيْن

بعد استقراء الموضوعات السابقة يمكن تلخيص الموازنة في ثلاثة جوانب:

أولًا: أوجه الاتفاق

اتفق الختمان في الأصول الكبرى التي يقوم عليها ختم الكتاب، ومن أبرزها:

- التعريف بالإمام أبي داود.
- بيان منزلة السنن وفضله.
- الكلام على شرط أبي داود ومنهجه.
- بحث مسألة الحديث المسكوت عنه.
- ذكر روايات السنن والمفاضلة بينها.
- سياق الإسناد إلى الكتاب.
- ذكر شروح السنن.
- العناية بمناقب أبي داود وأقوال العلماء فيه.
- ختم المجلس بما يناسبه من حديث أو دعاء.
- المحافظة على الوظيفة المجلسية للختم.

وهذا الاتفاق يؤكد وجود **بنية مشتركة لكتب الختوم الحديثية**، لا سيما حين يكون الكتاب المختوم واحدًا.

ثانيًا: أوجه الاختلاف

يتمثل أبرز أوجه الاختلاف بينهما في طبيعة المعالجة.

فالسخاوي يميل إلى:

- جمع الروايات المختلفة.
- المقارنة بين النسخ والطرق.
- تحرير النقول، (ص 26، 28، 35، 48، 28-30، 57، 68، 72-73)
- مناقشة الأقوال، (ص 28-30، 37-42، 58-60، 72)
- التنبيه إلى أثر اختلاف الروايات في الحكم الحديثي.
- توسيع الحديث عن خدمة السنن وشروحه.

ISSN : 2410-1818

أما البصري فيميل أكثر إلى:

- جمع أقوال الأئمة.
- التوسع في ترجمة أبي داود ومناقبه.
- نقل الثناء على الكتاب ومصنفه.
- عرض الخلافات الحديثية بصورة موجزة.
- الاستفادة من مناقشات العلماء المتأخرين في شرح شرط أبي داود.

ثالثًا: ما انفرد به كل واحد منهما

من أبرز ما تميز به السخاوي:

- **العناية النقدية بروايات السنن**؛ إذ لم يجعل اختلاف الروايات مسألة إسنادية مجردة، بل ربطها بنسبة أحكام أبي داود إلى الأحاديث، وحذر من الحكم اعتمادًا على نسخة واحدة. وهذه من أبرز الفوائد العلمية لختمه.
- **تعدد أسانيده إلى الكتاب** وتحريه في صيغ الأداء، واستيعابه الأوسع لشروح السنن والكتب التي خدمته.

ومن أبرز ما تميز به البصري:

- **التوسع النسبي في ترجمة أبي داود** ومناقبه وثناء العلماء عليه، وجمع عدد من الأخبار والنقول التي لم يوردها السخاوي، إلى جانب الإفادة من مؤلفات العلماء الذين جاءوا بعد السخاوي، وهو أمر طبيعي بحكم تأخر عصره عنه.
- العناية الواضحة بجمع الخلاف في مسألة سكوت أبي داود، والتنوع في النقل.

المطلب السادس: القيمة العلمية للختمتين ونتيجة الموازنة العامة

القيمة العلمية للختمين

تفيد الدراسة المقارنة أن القيمة العلمية للختمين تتجاوز المناسبة التي أُنشئا من أجلها؛ إذ يحفظان مادة تتعلق بتاريخ سنن أبي داود، ورواياته، وأسانيده، ومناهج تلقيه، وشروحه، ومكانته بين كتب السنة، فضلًا عن المادة المتعلقة بترجمة أبي داود ومكانته العلمية.

وبهذا يمثل الختمان شاهدًا تطبيقيًا على أن كتب الختوم ليست مجرد كلمات احتفالية تقال عند انتهاء قراءة الكتاب، وإنما يمكن أن تكون مصدرًا في دراسة تاريخ الكتاب، ومناهج العلماء في تلقيه، ورواياته وأسانيده، ومناهج مصنفيه، وتطور خدمته العلمية.

النتيجة العامة للموازنة:

يمكن تحديد أبرز السمات المنهجية للختمين في الآتي:

ختم السخاوي أقرب إلى الختم **النقدي التحليلي**؛ إذ يبرز فيه استقراء الروايات، ومقارنتها، وتحرير الأقوال، ومناقشة بعض المشكلات الحديثية، والعناية بالأسانيد وصيغ الأداء، وتتبع ما خدم السنن من شروح ومصنفات.

أما ختم البصري فأقرب إلى الختم **الجمعي الاستيعابي**؛ إذ يبرز فيه جمع أقوال العلماء ونقولهم، والعناية بفضائل الكتاب ومصنفه وترجمته ومناقبه، والإفادة من جهود من تقدمه، مع حضور المناقشة والترجيح في عدد من المسائل، ولا سيما شرط أبي داود وروايات كتابه.

ولا ينبغي فهم هذا التقسيم على أنه فصل تام بين المنهجين؛ فالسخاوي يجمع وينقل، والبصري يناقش ويرجح، وإنما المراد تحديد السمة الغالبة في كل ختم.

والأهم من ذلك أن المقارنة تكشف عن تطور تراكمي في التأليف في الختوم؛ فالبصري متأخر عن السخاوي بأكثر من قرنين، ومن ثم أتيح له الإفادة من طبقة علمية ومصنفات متأخرة لم تكن متاحة للسخاوي.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

بعد دراسة كتب الختوم عند المحدثين باختصار، والموازنة بين خَتْمَي سنن أبي داود للسخاوي والبصري، انتهى البحث إلى **جملة من النتائج، من أبرزها:**

- أن كتب الختوم تمثل نوعا من أنواع التأليف العلمي المرتبط بمجالس قراءة الكتب وإقرائها، ثم تطورت إلى مصنفات مستقلة.
- أن القيمة العلمية لكتب الختوم تتجاوز مناسبة ختم الكتاب؛ لما تشتمل عليه من مادة في مناهج المصنفين، وتراجمهم، وأسانيد الكتب ورواياتها وشروحها.
- أن السخاوي والبصري اشتركا في الأصول الكبرى لختم سنن أبي داود، من التعريف بأبي داود، وبيان منزلة السنن وشرطه ومنهجه، وروايات الكتاب، وأسانيده، وشروحه.
- غلب على ختم السخاوي الاتجاه النقدي التحليلي، ولا سيما في دراسة روايات السنن، ومقارنة طرقها، والتنبيه إلى أثر اختلاف الروايات في نسبة أحكام أبي داود إلى الأحاديث.
- غلب على ختم البصري الاتجاه الجمعي الاستيعابي، مع الإفادة من أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين، والعناية بفضائل السنن وترجمة أبي داود ومناقبه.
- تميز السخاوي بتعدد طرقه إلى السنن، وبالتوسع في ذكر شروح الكتاب والمصنفات التي خدمته.
- كشفت الموازنة أن تأخر البصري زمنيًا أتاح له الإفادة من طبقة من العلماء والمصنفات التي لم تكن متاحة للسخاوي، مما أبرز الطبيعة التراكمية للتأليف في كتب الختوم.
- يمثل الختمان مصدرين مهمين في دراسة تاريخ تلقي سنن أبي داود ورواياته وأسانيده ومكانته العلمية.

ومن أبرز التوصيات:

- العناية بحصر كتب الختوم المخطوطة والمطبوعة ودراستها.
- إجراء دراسات مقارنة لختمات الكتب الستة؛ لما تشتمل عليه من فوائد تتعلق بتاريخ الرواية ومناهج تلقي كتب السنة.

قائمة المصادر والمراجع

1)إرشاد الغاوي، بل إسعاد الطالب والراوي للإعلام بترجمة السخاوي، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق د سعد بن فجحان الدوسري، مكتبة أهل الأثر، الكويت، الطبعة الأولى، 1435هـ.

2)أعلام المكيين، لعبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، نشر مؤسسة الفرقان، مكة، الطبعة الأولى، (1421ه).

3)الإمداد في معرفة علو الإسناد، لعبد الله بن سالم البصري، تحقيق العربي الدائز الفرياطي، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، 1427ه.

4)الانتهاض في ختم الشفاء لعياض، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق د عبد اللطيف محمد الجيلاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م.

5)بداية القاري في ختم صحيح البخاري، للشيخ ناصر الدين محمد بن سالم الطبلاوي، تحقيق د نضال علي حسين، بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية، العدد (16)، 2017م.

6)بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق الدكتور بدر محمد العماش.

7)بذل المجهود في ختم سنن أبي داود، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الجيلاني، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى 1424ه.

8)التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى 1414هـ/1993م.

9)تصحيح الفصيح وشرحه، لأبي محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (ت 347هـ)، المحقق: د. محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1419هـ - 1998م.

10)تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، المحقق محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، 1406ه - 1986م.

11)تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج المزي (ت 742هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1400ه، 1980م

12)تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ)، المحقق: محمد عوض

مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
13)جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
14)ختم الكتب الحديثية: ختم صحيح البخاري عند المغاربة أنموذجا، للباحث خالد بن احسين، رسالة ماجستير بجامعة محمد الأول، بوجدة، المملكة المغربية، 1443هـ، 2021م.
15)ختم الموطأ، للأستاذ الدكتور: محمد بن عمر بازمول، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى سابقا، منشور الكترونيا https://www.radiosunna.com/kmb.html
16)ختم جامع الإمام الترمذي، لعبد الله بن سالم البصري، تحقيق د العربي الدائز الفرياطي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ، 2002م.
17)ختم سنن الإمام أبي داود، لعبد الله بن سالم البصري، تحقيق محمد محمدي النورستاني، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1425ه.
18)ختم صحيح البخاري من سبعة وعشرين علما، لأبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق أفضل مسعود وأحمد المصطفوي والدكتور حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2024م.
19)الختم ومفهومه عند المحدثين، للدكتور ملفي حسن الشهري، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بجامعة الأزهر، العدد (24)، 1427هـ، 2006م.
20)ختمات صحيح البخاري، ليوسف الكتاني، بحث منشور في مجلة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد (240)، 1404هـ 1984م.
21)الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر الحسني الكتاني (ت1345هـ)، المحقق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة، 1421هـ-2000م.
22)سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4،5)، الناشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ - 1975م.
23)السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت 303هـ)، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
24)صحيح وضعيف سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة

بالإسكندرية، من مراجع الشاملة.
25)صحيح وضعيف سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية. من مراجع الشاملة.
26)الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
27)علم الأختام الحديثية، للباحث أحمد عبد الحميد أحمد حباجة، بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، مصر، المجلد (6)، العدد (1)، 1441هـ، 2019م.
28)عمدة القارئ والسامع بختم الكتاب الجامع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق د: علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى، 1418ه.
29)عمدة القارئ والسامع بختم الكتاب الجامع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق د مبارك بن سيف الهاجري، طباعة إدارة الأبحاث بجامعة الكويت.
30)غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (ت 198 - 285)، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1405ه.
31)فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الكتاني (ت 1382هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، 1982م.
32)الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت 438هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1417 هـ - 1997م.
33)الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748 هـ)، المحقق محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الناشر دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م.
34)كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
35)كتاب لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن،

لمحمد بن عبد الواحد الغافقي (ت 619هـ)، المحقق: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى 1418هـ - 1997م.

36)كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت 1067هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد، 1941م.

37)لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، (ت 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، 1414ه.

38)المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، الكتاب لعبد الله مرداد أبو الخير، واختصره وحققه محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، (1406ه).

39)مسند الحجاز الثبت خاتمة المحدثين الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، لرضا محمد السنوسي، نشر مركز البحوث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة الملك عبد العزيز.

40)المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، (ت 833ه)، مكتبة التوبة، الرياض، 1410ه، 1990م.

41)معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

42)مقدمة إملاء الاستذكار للحافظ أبي عمر ابن عبد البر القرطبي، المؤلف: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (ت 576 هـ)، المحقق: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

43)من أعلام المحدثين بالحرمين الشريفين، الإمام عبد الله بن سالم البصري المكي، إمام أهل الحديث بالمسجد الحرام، للدكتور: العربي الدائز الفرياطي، دار البشائر، لبنان، الطبعة الأولى، 1426ه.

44)مناهج علماء الحديث في تأليف الكتب في ختم صحيح البخاري، إحصاء وتحليل، للدكتور مصطفى محمد يسلم الأمين الجكني، بحث منشور في المؤتمر السنوي العالمي (الإمام 4) للسنة النبوية، بمعهد دراسات الحديث الشريف في الكلية الجامعة الإسلامية العالمية بسلانجور، ماليزيا، 1441هـ، 2019م.

45)المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة، لمحمد عبد الباقي الأيوبي (ت 1364هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م.

ISSN : 2410-1818

46)هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن ميرسليم الباباني البغدادي (ت 1399هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

مجلــة الأندلس للعلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة
مجلــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X
الترقيـم الدولـي الورقـي :ISSN:2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلــة مفهرســة فــي المواقــع الآتيــة :

العام	2021	2022	2023	2024	2025
معامل أرسيف	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978
معامل التأثير العربي	1.60	1.73	1.25	1.55	1.59